

التكاذب والشهادة للحق

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

إن المنتبغ لمجريات الأوضاع في لبنان وبلاد الانتشار بصدق وإيمان، العامل في الشأن العام من منطلق وطني لا نفعي، لا بد وأنه مصاب هذه الأيام بحالة من الاشمئزاز بسبب تفشي ظاهرتي التكاذب والانهزامية بين شرائح كبيرة من أفراد شعبنا، وتحديدًا بين بعض السياسيين ورجال الدين الذين يفترض أن يشهدوا للحق ويحملوا راية تحرير لبنان وكرامة انسانيته وحقوقه عالياً، لا المساومة الرخيصة على المقدسات والتجانب عن قول الحقيقة، المزايمة الحاكمة على الأحرار، والمتاجرة المجرمة بكل شيء حتى بدم الشهداء ومصير الوطن ومقوماته.

من المؤسف أن تصاب نخبة من قادتنا بحالة من ازدواج الشخصية فتتميز تصرفاتهم ببوضاسية فاقعة، فيما المفترض بهم هداية الناس إلى الخلاص، لا إلى الهلاك، إلى الإقدام لا إلى التجاين، إلى الإيمان وليس للكفر، للفضيلة وليس للرديلة، للشفافية وليس للخبث، للمحبة وليس للحقد والضغينة. فهؤلاء يعملون غير ما يقولون فيما يبثون بمكر ودهاء روح الفرقة بين رعاياهم ويتاجرون بأقدس المقدسات دون أن يرمش لهم جفن بعد أن أصيبوا بلوثة الخيانة فسدت ضمائرهم، تعفن وجدانهم، تخدرت أحاسيسهم وماتت في داخلهم الكرامة ومعها الانتماء الوطني.

من آخر هرطقات هؤلاء المتاجرة بدماء الشهداء التي أريقت على مذبح الوطن استنكاراً للظلم ورفضاً لحروب الآخرين على أرضنا التي غرست الأحقاد والانقسامات بين أبناء الوطن الواحد، والشعب الواحد، وأحيانا العائلة الواحدة. إن دماء الشهداء تصرخ اليوم: ابعدوا عنا هؤلاء التجار، نعم للصفح والغفران، نعم للتعالي على الجروح والمسامحة والمحبة، وألف نعم لإعادة بناء الوطن بالتعاون والتضامن بين جميع أبنائه، ولا للتكاذب والدجل. فلنسمع صراخ من افتدونا لنعيش مرفوعي الرأس إذا شئنا أن نفهم معنى الشهادة، وان نتعلم من تجاربنا وأمثولات شهدائنا. فالشهادة تولد من فعل إيمان وفعل محبة: إيمان بشخص أو بوطن أو بقضية، ومحبة هذا الشخص أو ذلك الوطن، أو تلك القضية، إلى حد نسيان الذات، وبذل النفس في سبيلهم، وهذا ما علمنا إياه الإنجيل: "ما من حب أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه" (يو ١٥/١٣).

والشهادة تنطلق من عملية مشاهدة، أي من عملية معرفة للقضية التي نؤمن بها، معرفة حياتية عميقة، مقرونة بالمحبة، تدفعنا إلى أن نشهد لهذا الشخص أو تلك القضية، أي أن نعلن الحقيقة التي نعلم وبها نؤمن. وان ندافع عنها بكل قوانا، حتى ولو قادنا ذلك إلى الاستشهاد، أي إلى شهادة

الدم التي هي أرقى الشهادات وأسمائها. وهكذا يتدرج الإنسان من مشاهد يكتشف حقيقة الأمور ويتعمق فيها، إلى شاهد يعلن تلك الحقيقة بجرأة وشجاعة، فإلى شهيد يبذل ذاته في سبيل الدفاع عن الحقيقة وإعلاء شأنها. هذا ما علمنا إياه السيد المسيح، الشهيد الأول والأكبر. وهذا ما قاله عن نفسه أمام بيلاطس عندما سأله هذا: "أملك أنت؟" أجابه يسوع: "أنت تقول أنني ملك. أنا ولدت وجئت إلى العالم لأشهد للحق. فمن كان من أبناء الحق يستمع إلى صوتي". فقال له بيلاطس: "ما هو الحق؟" قال هذا وخرج ثانية إلى اليهود... (يو ١٨/٣٧-٣٨). طرح بيلاطس السؤال "ما هو الحق" لكنه لم ينتظر الجواب. أصمّ أذنيه عن سماع الحق وراح يساوم اليهود على أن يطلق لهم سجيناً حسب العادة. فطالب هؤلاء بإطلاق برأبا و صلب يسوع. فخضع بيلاطس للضغوط وأسلم يسوع للصلب وهو مقتنع ببراءته، وغسل يديه قائلاً: "أنا بريء من دم هذا الصديق" (متى ٢٧/٢٤). وهكذا شهادة يسوع للحق أدت به إلى الاستشهاد على الصليب. استشهد أمانة "الحق" الذي جاء يشهد له، ومحبة بنا كي يعيد لنا الحياة الإلهية التي فقدنا. فكان دمه المراق على الصليب ينبوع فداء وحياة للبشرية جمعاء.

كم في لبنان وبلاد الانتشار اليوم من بيلاطسيين يُصمون آذانهم عن سماع الحق، ويُغمضون أعينهم عن رؤية الحقيقة، ويغسلون أيديهم من دماء الأبرياء التي تسفك كل يوم، تاركين أهلنا يواجهون وطأة الظلم والاضطهاد والجوع والفقر دون مُعين. إنهم يغضون الطرف عن حق اللبناني في الكرامة والحرية والاستقلال، وكم عرف لبنان طوال محنته، وما زال، من أولئك الذين يدعون أنهم لا يعرفون ماذا يريد شعبيهم، أو من هؤلاء الذين يقعدهم جبنهم أو مصالحهم عن إعلان الشهادة للحق، والمطالبة بحقوق الوطن والدفاع عنها، حتى لو اضطروا إلى الاستشهاد. فإننا نتبنى كلام القديس بولس إلى أهل فيليبي، حيث يقول: "إن كان من عزاء في المسيح، ومن هناء في المحبة، ومن مشاركة في الروح، ومن حنان ورأفة، فتمموا فرحي بأن تكونوا على رأي واحد، ومحبة واحدة، وقلب واحد، وفكر واحد..." (فيلبي ٢/١-٢).

فمن أجل الوطن المههد بالزوال، ورحمة بالشعب المهان بكرامته، وإجلالاً لدم الشهداء، ومن أجل مستقبل أولادنا، فلنتوقف عن التكاذب، فنقول ما نعني، ونتبنى المواقف التي تتناسب مع قناعاتنا ونكف عن السكوت المريض عن الذين يقودونا إلى طريق الهلاك.

فلنشهد للحق فيخلصنا ويخلص معه وطننا.